مفهوم طلع و عرجون نخلة التمر في القرآن الكريم

الدكتور فاضل حسن شريف

قال الله تعالى عن طلع النخيل "وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ" ﴿ق 10﴾ طلع اسم، طَلْعٌ: الثمر مادام في وعائه، لها طلعٌ: هو ثمرها ما دام في وعائه، وأنبتنا النخل طِوالا لها طلع متراكب بعضه فوق بعض، و "حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ" ﴿الأنعام 99﴾ طَلْعُهَا: طَلْعٌ اسم، هَا ضمير طلعها:هو أوّل ما يخرج من ثمر النّخل في الكيزان، والله سبحانه هو الذي أنزل من السحاب مطرًا فأخرج به نبات كل شيء، فأخرج من النبات زرعًا وشجرًا أخضر، ثم أخرج من الزرع حَبًّا يركب بعضه بعضًا، كسنابل القمح والشعير والأرز، وأخرج من طلع النخل وهو ما تنشأ فيه عذوق الرطب عذوقًا قريبة التناول، وأخرج سبحانه بساتين من أعناب، وأخرج شجر الزيتون والرمان الذي يتشابه في ورقه ويختلف في ثمره شكلا وطعمًا وطبعًا، انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ. إن في ذلكم أيها الناس لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يصدقون به تعالى ويعملون بشرعه، و "وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ" ﴿الشعراء 148﴾ طلعها: ثمرُها الذي يؤول إليه الطّـلْـع، طَلْعُهَا هَضِيمٌ: الرطب اللّين الناضج، أيترككم ربكم فيما أنتم فيه من النعيم مستقرين في هذه الدنيا آمنين من العذاب والزوال والموت؟ في حدائق مثمرة وعيون جارية وزروع كثيرة ونخل ثمرها يانع لين نضيج، وتنحتون من الجبال بيوتًا ماهرين بنحتها، أَشِرين بَطِرين، و "طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ" ﴿الصافات 65﴾ طَلْعُهَا: طَلْعٌ اسم، هَا ضمير، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ: تبشيع لها وتقبيح، إنها شجرة تنبت في قعر جهنم، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، فإذا كانت كذلك فلا تَسْأَلْ بعد هذا عن طعمها، فإن المشركين لآكلون من تلك الشجرة فمالئون منها بطونهم، ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شرابًا خليطًا قبيحًا حارًّا، ثم إن مردَّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار.

جاء في معاني القرآن الكريم: طلع طلع الشمس طلوعا ومطلعا. قال تعالى: "وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس" (طه 130)، "حتى مطلع الفجر" (القدر 5)، والمطلع: موضع الطلوع، "حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم" (الكهف 90)، وعنه استعير: طلع علينا فلان، واطلع. قال تعالى: "هل أنتم مطلعون" (الصافات 54)، "فاطلع" (الصافات 55)، قال: "فأطلع إلى إله موسى" (غافر 37)، وقال: "أطلع الغيب" (مريم 78)، "لعلي أطلع إلى إله موسى" (القصص 38)، واستطلعت رأيه، وأطلعتك على كذا، وطلعت عنه: غبت، والطلاع: ما طلعت عليه الشمس والإنسان، وطليعة الجيش: أول من يطلع، وامرأة طلعة قبعة (في اللسان: وجارية قبعة طلعة: تطلع ثم تقبع رأسها، أي: تدخله). وجاء في المعاجم: عُرجون: (اسم) الجمع: عَراجينُ. العُرْجُونُ: العِذْق، ما يحملُ التَّمْرَ، وهو من النَّخْل كالعنقودِ من العنب. عَرجَنَ: (فعل) عَرْجَنَ الثَّوْبَ ونحوَه: رسَمَ فيه صورة العُرْجُون. عُرْجُونُ: عُرْجُونُ: العِذْقُ، أو إذا يَبِسَ واعْوَجَّ، أو أصْلُه، أو عُودُ الكِبَاسَةِ، أو نَبْتٌ كالفُطْرِ يُشْبِهُ الفَقْعَ, ج: عَراجِينُ. عُرْجُونُ النَّخْلَةِ: عِذْقُهَا، أيْ عُنْقُودُهَا. جمع عَراجينُ: (النبات) ما يَحمِل التَّمْرَ، وهو من النَّخل كعنقود العنب: عرجون تمر، "وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ" (يس 39). أَبو عمرو: العُرْهونُ والعُرْجُونُ والعُرْجُد كلُّه الإهانُ والعُرْجُون العِذْقُ عامَّة، وقيل: هو العِذْقُ إذا يَبِس واعْوجَّ، وقيل هو أَصل العِذْق الذي يعْوَجُّ وتُقْطع منه الشماريخ فيبقى على النخ يابساً، وقال ثعلب: هو عُود الكِباسة. قال الأزهري: العرجون أَصْفرُ عري شبه الله به الهلالَ لما عاد دقيقاً فقال سبحانه وتعالى: "والقَمَر قَدَّرْناه مَنازلَ حتى عاد كالعُرْجُون القديم" (يس 39).

قوله تعالى "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ" (ق 7-11) فالاية تبين ان العامل في مجال الزراعة والمياه والاستفادة منها بعمل السدود والخزانات سيجعل الأرض جنات ونخيل ويحي الأرض. فله ثواب يؤجر على عمله المبارك. ووتميز النخل بارتفاعها "وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ" (ق 10). في حديثه سبحانه وتعالى عن الفيزياء كما في حديثة عن الحركة الكونية وقانون المغناطيسية الذي يتحكم بهذه الحركة كما تعبّر عن ذلك الآية الكريمة : "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (يس 38-40).

قال الله تعالى عن العرجون "وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ" ﴿يس 39﴾ كَالْعُرْجُونِ: كَ حرف جر، الْ اداة تعريف، عُرْجُونِ اسم، كالعرجون القديم:كعود عِذْق النّخلة العتيق، والقمرَ آية في خلقه، قدَّرناه منازل كل ليلة، يبدأ هلالا ضئيلا حتى يكمل قمرًا مستديرًا، ثم يرجع ضئيلا مثل عِذْق النخلة المتقوس في الرقة والانحناء والصفرة؛ لقدمه ويُبْسه.

جاء في التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي: قوله سبحانه "حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ" ﴿يس 39﴾ تصوير بديع لحالة القمر وهو في آخر منازله.
والعرجون: هو قنو النخلة ما بين الشماريخ إلى منبته منها، وهو الذي يحمل ثمار النخلة سواء أكانت تلك الثمار مستوية أم غير مستوية. وسمى عرجونا من الانعراج، وهو الانعطاف والتقوس، شبه به القمر في دقته وتقوسه واصفراره. أى: وصيرنا سير القمر في منازل لا يتعداها ولا يتقاصر عنها، فإذا صار في آخر منازله، أصبح في دقته وتقوسه كالعرجون القديم، أى: العتيق اليابس. قال بعض العلماء: والذي يلاحظ القمر ليلة بعد ليلة. يدرك ظل التعبير القرآنى العجيب حَتَّى "عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ" وبخاصة ظل ذلك اللفظ "القديم". فالقمر في لياليه الأولى هلال. وفي لياليه الأخيرة هلال. ولكنه في لياليه الأولى يبدو وكأن فيه نضارة وقوة. وفي لياليه الأخيرة يطلع وكأنما يغشاه سهوم ووجوم، ويكون فيه شحوب وذبول. ذبول العرجون القديم. فليست مصادفة أن يعبر القرآن عنه هذا التعبير الموحى العجيب. قوله تعالى "وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ" (ق 10): "وَالنَّخْلَ" معطوف على "جَنَّاتٍ"، و"باسِقاتٍ" حال من النخل. ومعنى "باسقات" مرتفعات، من البسوق بمعنى الارتفاع والعلو. يقال: بسق فلان على أصحابه من باب دخل إذا فاقهم وزاد عليهم في الفضل. والنخل: اسم جنس يذكر ويؤنث ويجمع. وخص بالذكر مع أنه من جملة ما اشتملت عليه الجنات، لمزيد فضله وكثرة منافعه. وجملة لَها "طَلْعٌ نَضِيدٌ" (ق 10) في محل نصب على الحال من النخل. والطلع: أول ما يخرج من ثمر النخل. ويسمى الكفرّى. يقال: طلع الطلع طلوعا. إذا كان في أول ظهوره. والنضيد: بمعنى المنضود، أى: المتراكب بعضه فوق بعض مأخوذ من نضد فلان المتاع ينضده، إذا رتبه ترتيبا حسنا. أى: وأنبتنا أيضا في الأرض بعد إنزالنا الماء عليها من السحاب، النخل الطوال، الزاخر بالثمار الكثيرة التي ترتب بعضها على بعض بطريقة جميلة. وقوله: رِزْقاً لِلْعِبادِ بيان للحكمة من إنزال المطر وإنبات الزرع. أى: أنبتنا ما أنبتنا من الجنات ومن النخل الباسقات. ليكون ذلك رزقا نافعا للعباد. قوله سبحانه "وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ" (الانعام 99). الطلع: أول ما يبدو ويخرج من تمر النخل كالكيزان. وقشره يسمى الكفرى وما في داخله يسمى الإغريق لبياضه. والقنوان: جمع قنو وهو العرجون بما فيه الشماريخ، وهو ومثناه سواه لا يفرق بينهما إلا في الإعراب. أى: ونخرج بقدرتنا من طلع النخل قنوان دانية القطوف، سهلة التناول أو بعضها دان قريب من بعض لكثرة حملها. قال صاحب الكشاف: و "قِنْوانٌ" رفع بالابتداء، "ومِنَ النَّخْلِ" خبره و "مِنْ طَلْعِها" بدل منه. كأنه قيل: وحاصلة من طلع النخل قنوان دانية. وذكر القريبة وترك ذكر البعيدة، لأن النعمة فيها أظهر وأدل، واكتفى بذكر القريبة على ذكر البعيدة.
جاء في تفسير الميزان للعلامة السيد الطباطبائي: قوله تعالى "فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ" (الشعراء 148) بيان تفصيلي لقوله "فِي ما هاهُنا" (الشعراء 146)، وقد خص النخل بالذكر مع دخوله في الجنات لاهتمامهم به، والطلع في النخل كالنور في سائر الأشجار والهضيم على ما قيل المتداخل المنضم بعضه إلى بعض. قوله تعالى "وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ" (يس 39) المنازل جمع منزل اسم مكان من النزول والظاهر أن المراد به المنازل الثمانية والعشرون التي يقطعها القمر في كل ثمانية وعشرين يوما وليلة تقريبا. والعرجون عود عذق النخلة من بين الشمراخ إلى منبته وهو عود أصفر مقوس يشبه الهلال، والقديم العتيق. وقد اختلفت الأنظار في معنى الآية للاختلاف في تركيبها، وأقرب التقديرات من الفهم قول من قال: إن التقدير والقمر قدرناه ذا منازل أو قدرنا له منازل حتى عاد هلالا يشبه العرجون العتيق المصفر لونه. قوله تعالى "وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ" (ق 10) الباسقات جمع باسقة وهي الطويلة العالية، والطلع أول ما يطلع من ثمر النخيل، والنضيد بمعنى المنضود بعضه على بعض والمعنى ظاهر. قوله تعالى "طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ" (الصافات 65) الطلع حمل النخلة أو مطلق الشجرة أول ما يبدو ، وتشبيه ثمرة الزقوم برءوس الشياطين بعناية أن الأوهام العامية تصور الشيطان في أقبح صورة كما تصور الملك في أحسن صورة وأجملها قال تعالى "ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (يوسف 31)، وبذلك يندفع ما قيل : إن الشيء إنما يشبه بما يعرف ولا معرفة لأحد برءوس الشياطين. قوله تعالى "فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ" وقد خص النخل بالذكر مع دخوله في الجنات لاهتمامهم به، والطلع في النخل كالنور في سائر الأشجار والهضيم على ما قيل المتداخل المنضم بعضه إلى بعض.
جنات الأرض التي بالاضافة الى روعة جمالها من الأشجار والنخل الباسقات "فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ" (ق 8-9) فإنها رزق للمخلوقات لما تحوي من حب الحصيد والطلع النضيد "وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ" (9-11). كان النبي صلى الله عليه وآله، ياكل الطلع (طلع النخيل يتكون قبل ظهور الرطب) والجمار (مادة بيضاء في أعلى جذع النخلة) بالتمر، ويقول: إن إبليس لعنه الله يشتد غضبه ويقول: عاش ابن آدم حتى أكل العتيق بالحديث. عن شبكة المعارف الاسلامية: قوله تعالى "وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ" (الرحمن 11): هي أوعية الطلع تنشق وتخرج منها الثمار.

بعض مصادر المقال:
1 .موقع معاني القرآن الكريم https://www.almaany.com/quran
2 .مقالات للكاتب الدكتور فاضل حسن شريف منشورة في مواقع: مقال، و صوت العراق، و اقلام المرجع، و كتابات في الميزان.